الرسالة

(عبرانيين ١: ١٠–١٤؛ ٢: ١–٣)

أنتَ يا ربُّ في البدءِ أَسَّستَ الأرضَ والسماواتُ هي صُنعُ يدَيْك* وهي تزولُ وأنتَ تبقى وكلُّها تبلى كالثوبِ* وتطويها كالرداءِ فتتغيَّرُ وأنتَ أنتَ وسنوكَ لن تفنى* ولِمَن مِنَ الملائكةِ قالَ قطّ اجلِسْ عن يميني حتَّى أجعلَ أعداءَكَ مَوطِئًا لقدمَيْك* أليسوا جميعُهم أرواحًا خادِمةً تُرْسَلُ للخدمةِ من أجلِ الذينَ سيَرِثون الخلاص* فلِذلكَ يجبُ علينا أن نُصغِيَ إلى ما سمِعناهُ إصغاءً أشدَّ لِئَلاَّ يَسربَ من أذهانِنا* فإنَّها إن كانَتِ الكلِمَةُ التي نُطِقَ بها على ألسِنَةِ ملائكةٍ قد ثَبتت وكلُّ تعدٍّ ومعصيةٍ نالَ جزاءً عدلاً* فكيفَ نُفلِتُ نحنُ إن أهملنا خلاصًا عظيمًا كهذا قد نُطِقَ بهِ على لِسانِ الربِّ أولاً ثمَّ ثبَّتَهُ لنا الذينَ سَمِعوهُ.

الإنجيل

(مرقس ٢: ١–١٢)

في ذلك الزمان دخلَ يسوعُ كفرناحومَ وسُمِع أنَّهُ في بيتٍ* فللوقتِ اجتمعَ كثيرون حتَّى إنَّهُ لم يعُدْ

العدد ٢٠٠٣/١٢

الأحد ٢٣ آذار

الأحد الثاني من الصوم

أحد القديس غريغوريوس بالاماس

تذكار الشهيد نيكن ورفقته

اللحن السادس

إنجيل السَحَر السادس

يا بني، مغفورة لك خطاياك

في الأحد الثاني من الصوم الكبير تنتقل الكنيسة بأبنائها من خبرة اكتشاف يسوع الناصري «الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء» (يو ١: ٤٥) إلى اكتشاف يسوع مسيحًا آتيًا لتحرير البشر من طغيان الخطيئة ومآسي عواقبها، ذلك أن حادثة شفاء المخلّع في كفرناحوم (مر ٢: ١–١٢) تتجاوز في فحواها إبراء إنسان من مرضه العضوي، إلى الإعلان عن قوة الإيمان ومفاعيله، عن علاقة الخطيئة بالمرض وسلطان ابن الإنسان «على الأرض أن يغفر الخطايا» (الآية ١٠). تجدر الإشارة إلى أن هذه العجيبة لا يُراد منها هنا مجرد وصف لعطف يسوع على المريض وتفاعله مع آلامه، بل هي كشف عن سلطان «المسيا» الذي يفتتح زمنًا جديدًا في التاريخ البشري. المسيح يدشّن هنا زمن اضمحلال قوى الشيطان وتحرير الإنسان من سطوته، زمن الكنيسة التي في أسرارها تذوّق مسبق للملكوت الموعود.

يستهل الإنجيلي روايته بوصف كثرة الجموع المتحلقة حول يسوع الذي «كان يخاطبهم بالكلمة». إن ازدحام الوافدين إلى يسوع العائد لتوّه إلى كفرناحوم يكشف جليًا الصدى الذي رددته كرازة السيد في المدينة قبل أيام. أي أن الناس هناك باتوا مهيأين لاقتبال الإعلان الكبير: يسوع الناصري هو «المسيا» الآتي بسلطان على الأرض. يقول بعض الشارحين إن السيّد تعمّد الإبتعاد عن كفرناحوم أيامًا، ليتيح للشعب أن «يهضموا» التعليم الأول، لئلاّ يعثّرهم ذاك الإعلان الكبير. كان يسوع يخاطب سامعيه بـ«الكلمة»، والعبارة هنا تحمل صفة المطلق، إشارة إلى الكلمة الإلهية، وفي هذا أيضًا إعلان عن سلطان يسوع الإلهي. يسوع لم يأتِ على الأرض كداعية أو مصلح إجتماعي أو حامل فلسفة أو فكر جديد. يسوع هو «رسول الرأي العظيم»، هو المصدر لكلمة الحياة وهو نفسه الكارز بها.

ينتقل الإنجيلي إلى وصف مفصّل و«درامي» لما بذله الرجال من جهد ليصلوا بالمخلّع إلى أمام يسوع. كثافة الجموع المحتشدة منعتهم من

الوصول ففتحوا في سقف البيت ثغرة أنزلوا منها المريض. في هذا الجهد، وفي ما يليه من ردة فعل يسوع، تجد الكنيسة الأرثوذكسية أساسًا لما تؤمن به في ما يختص بفاعلية الإيمان وقوة الشفاعة. يسوع رأى إيمان الرجال الأربعة فأنعم على المريض. نحن لا نعرف من سياق النص شيئًا عن حال المريض الداخلية. هو لم نسمعه يطلب شيئًا، ولكن السيد أنعم عليه بالشفاء لأجل إيمان حامليه ومثابرتهم في طلب يسوع. المؤمن الحقيقي لا تثنيه المصاعب عن بلوغ السيد، وهو يجدّ لا من أجل فائدته الشخصية وحسب بل من أجل فائدة الآخرين أيضًا، وبالزخم والعزم ذاتهما. أي إن المؤمن يتبنى حاجة الآخرين ويتفاعل معها تفاعله مع حاجات نفسه. ألم الآخرين يمسي ألمه، وهذا من علامات المحبة والرحمة. المؤمن الحقيقي يبذل نفسه من أجل الآخرين متشبّهًا بالسيد، والسيّد لا يرد له سؤالاً.

يلتفت يسوع إلى المخلّع قائلاً له «يا بني»، كاشفًا عمّا يؤسس له السيّد من روابط عائلية وثيقة مع الإنسانية الجديدة، وهي كنيسته المؤسَّسة على سلطانه والمشتراة بدمه. يسوع يتبنى المريض لأن المخلّصين به من قيود الخطيئة يصيرون بالمسيح أبناءً لله. «مغفورة لك خطاياك»، يقول يسوع. هذه هي المرة الأولى التي يواجه فيها يسوع المرض الجسدي بالإعلان عن غفران الخطايا. هنا ينطرح تعليم العهد الجديد عن علاقة الخطيئة بالمرض والأوجاع، وهو تعليم ما زال حتى الآن يعاني من سوء فهم أو تأويل. عندما تمرّد المخلوق على خالقه، وهو ما نعرفه بخطيئة آدم، إنسلخ الإنسان عن الحياة في الله التي لا فساد فيها، وصار تحت ناموس الطبيعة بما فيها من ضعف وفساد ومرض وموت. وجود المرض إذًا في العالم هو من المضاعفات الحتمية لحال الخطيئة. هذا لا يعني أن كل مرض يصاب به إنسان هو عقاب شخصي لخطيئة شخصية، بل إن المرض بحد ذاته هو من سمات الضعف في الإنسانية الساقطة خارج ستار النعمة الإلهية الواقي. يسوع لا يتعاطى مع الخطيئة نظريًا، بل يواجهها بسلطانه في الواقعين فيها، يقهرها ويحرّرهم منها ومن مفاعيلها. يسوع يأخذ منحى المواجهة لأن زمن الفداء والخلاص الفعلي قد حان. يسوع في وصف الإنجيليين هو «رافع خطيئة العالم»، وعجائبه الواردة في الأناجيل تصوّر جليًا افتتاح زمن الغلبة على الشرير وقواه، زمن النعمة والخلاص الحاصلين بابن الإنسان. هذا ما لم يرد الكتبة، أي حكماء اليهود، أن يفهموه. لقد اعتبروا كلام السيد عن غفران الخطايا تجديفًا لأن قساوة قلوبهم أملَت عليهم موقف الرفض المسبَق لسلطان يسوع وصِفَتِهِ المسيانية، وهو موقف إرادي تبنّوه فكريًا وشعوريًا. هذا ما تدل عليه عبارة «في قلوبهم»، والقلب في لغة الكتاب مركز الكيان برمّته.

الشفاء الذي هو محور هذا المقطع يأتي عليه الإنجيلي بآية واحدة لا غير. فأساس التعليم يكمن في جواب يسوع للفريسيين من خلال الإعلان عن سلطانه في غفران الخطايا. ذلك أن «ابن الإنسان» هو الغافر والفادي والديّان، وقد يكون هذا ما أثار الكتبة في كلام يسوع. إن عبارة «ابن الإنسان» ترد في الأدب الرؤيوي عند اليهود، لا سيما في سفر دانيال (٧:١٣–١٤)، وهي تشير إلى شخص واحد موضعٌ ولا ما حولَ الباب يَسَعُ. وكان يخاطبهم بالكلمة* فأتوا إليهِ بمخلّعٍ يحمِلهُ أربعةٌ* وإذ لم يقدروا أنْ يقتربوا إليهِ لسبب الجمع كشفوا السقفَ حيث كان. وبعدما نَقَبوهُ دلّوا السريرَ الذي كان المخلّعُ مضطجعًا عليهِ* فلمَّا رأى يسوعُ إيمانَهم قال للمخلّعِ يا بُنيَّ مغفورةٌ لكَ خطاياك* وكان قومٌ مِنَ الكتبةِ جالسين هناك يفكّرونَ في قلوبِهم ما بالُ هذا يتكلّم هكذا بالتجديف. مَن يقدِر أنْ يغفِرَ الخطايا إلاّ اللهُ وَحْدَهُ* فللوقتِ علمَ يسوعُ بروحِهِ أنَهم يفكّرون هكذا في أنفسِهم فقال لهم لماذا تفكّرون بهذا في قلوبكم* ما الأيسرُ أنْ يُقالَ مغفورةٌ لك خطاياك أم أنْ يُقالَ قُمْ واحمِلْ سريرَك وامشِ* ولكنْ لكي تعلَموا أنَّ ابنَ البشر لهُ سلطانٌ على الأرض أن يغفِرَ الخطايا (قال للمخلّع) لك أقول قُمْ واحمِلْ سريرَك واذهبْ إلى بيتك* فقام للوقتِ وحملَ سريرَهُ وخرجَ أمامَ الجميع حتَّى دَهِشَ كلُّهم ومجَّدوا اللهَ قائلين ما رأينا مثلَ هذا قطّ.

تأمل

إذا كان المرضى هم الذين يحتاجون إلى المداواة ويحتملون مضَضَ العلاجات وقد حضر الآن إلى مدينتنا الطبيب الفاضل الماهر الحكيم العالم القادر فما بالنا لا نهتمُّ بمداواة أمراض

نفوسنا ونجتهد في تطهير ضمائرنا وقلوبنا ما دام لنا زمانٌ يصلح للمداواة. وكيف لا نبالغ في الاهتمام بمصالحنا ما دام الختن حاضرًا قبل أن يدخل بلاط مجده ويغلق الباب ونبقى نحن خارجًا خائبين. وإذا كان اطباء الأجسام إذا عزموا على المداواة يأمرون المرضى أولاً بالحمية وثانيًا بتنقية الاخلاط الرديئة وثالثًا باجتناب ما يعارض قوّة الدواء ليظهر نفعه في البدن، وهم يحمدونهم على ذلك ويشكرون فضلهم، فكيف لا يكون هذا العزم فينا إذا عزمنا على تناول الأدوية الروحية بأن نطهِّر اجسادنا ونزكّي نفوسنا وننقّي ضمائرنا عند استماع أقوال ربنا ونتفاوض في منافع فضيلة الصيام المقدَّس. لأن الأجسام إذا ثقلت بالمآكل وغرقت العقول في السكر ومالت الحواس إلى الشهوات الخبيثة فأي سماع يسمعون وأي فهم يفهمون. وأي حالة أقبح وأشنع من حالة الذين يمتلئون من الطعام فوق طاقتهم ويواصلون شرب الخمر ليلاً ونهارًا. فإنهم يتنفَّسون كالمكروبين، ويتقيأون كالكلاب ويتمرَّغون كالخنازير، ويهرّجون كالمجانين، ويُضحِكون عبيدهم وأهل بيوتهم، ويصيرون هزءًا للخارجين، مع علمهم أن ذلك مما يجلب عليهم سخط الله، لأنه تعالى يقول إن هو رمز الإنسانية الجديدة، وفيه يجد قديسو الله كمالهم. قوة الإعلان إذًا كانت في الوقت عينه عثرة للكتبة ذوي القلوب القاسية، وسببًا لتمجيد الله من بسطاء القوم الذين قبلوا بفرح خلاص الرب و«مجّدوا الله قائلين ما رأينا مثل هذا قط».

لقد قهر يسوع المسيح بالفعل ما كان للخطيئة قديمًا من سلطان على البشر، بما في ذلك كل مفاعيلها وذيولها. وإذا كانت الخطيئة ما زالت فاعلة حتى الآن، فلأن هناك من آثروا البقاء تحت سلطانها طوعًا. أي أن الخطيئة باتت تستمد قوتها من قابليها، لا من قدراتها الذاتية التي أزالها الزمن الجديد البادئ بالتجسد والمحقّق في الكنيسة، والذي سوف يكتمل بالمجيء الثاني. فلا مكان إذًا للخطيئة في الكنيسة، بمعنى أنه صار بإمكان المؤمن، المثابر على الشركة في المسيح، أن يتجنّبها. وحتى إن خدعته الخطيئة أو سقط فيها، حياة الكنيسة لا موت فيها لأنها حياة توبة واغتسال دائم، وللكنيسة «سلطان على الأرض أن تغفر الخطايا».

أيها القديسون، تشفعوا بنا

يصلّي المسيحيون لأجل بعضهم، كما يسألون الآخرين أن يصلّوا لأجلهم. وما هذا العمل إلا استجابة أو تتميمًا لوصية الله أن يحبوا بعضهم بعضًا وتجسيدًا عميقًا لحقيقة «أننا بعضنا أعضاء البعض» (أف ٤: ٢٥) في المسيح يسوع. يقول الرسول بولس «... الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد ... وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفرادًا» (١كو ١٢ :١٢و٢٧).

إن جسد المسيح الذي يؤلفه المسيحيون، أعضاء جسد المسيح في كنيسته، لا يمكن أن ينقسم أو يتفتت. يمكن أن نفصل أنفسنا عن الجسد بسبب خطايانا، ولكن لا يمكن فصلنا لأي سبب آخر. الرسول بولس يعلم بأن «لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلية، ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو ٨: ٣٨–٣٩).

الوحدة التي يتمتع بها المسيحيون مع بعضهم في المسيح يسوع، ومع الله وكل الشعب وكل الخليقة فيه، لا يقهرها الموت. الذين «رقدوا بالرب» هم أحياء به. كونهم كانوا خدّامًا أمناء على هذه الأرض فقد دخلوا إلى الحياة الأبدية مع الرب يسوع بقوة روحه المحيي الساكن فيهم. هم أحياء في السموات مع الرب يسوع في حضرة الآب ليتشفعوا بنا أمامه. إذا كان المسيحيون، وفيما هم لا يزالون على الأرض يسألون بعضهم الصلاة لأجل بعض، فكم بالأحرى ينبغي عليهم، وهم ما زالوا في الجسد، أن يطلبوا صلوات اخوتهم واخواتهم الذين انطلقوا ليكونوا مع المسيح عن يمين الآب؟ خاصة أولئك الذين كشف الرب قداستهم للكنيسة بأسرها.

من يشك بوجود القديسين مع يسوع في حضرة الآب، فليقرأ سفر الرؤيا حيث «جمعٌ كثير لم يستطع أحد أن يعدَّه من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسرّبلين بثياب بيض وفي أيديهم سعف النخل

... وأجاب واحدٌ من الشيوخ قائلاً لي: هؤلاء المتسرّبلون بالثياب البيض مَنْ هم ومن أين أتوا؟ ... فقال لي: هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم وبيّضوا ثيابهم في دم الخروف. من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهارًا وليلاً في هيكله والجالس على العرش يحلُّ فوقهم. لن يجوعوا ولن يعطشوا ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر، لأن الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماءٍ حية ويمسح الله كل دمعة من عيونهم» (رؤ ٧: ٩-١٧). إذا كان لهؤلاء القديسين هذه الحظوة في عيني الرب يستجيب لطلباتهم من أجلنا، لأن «طلبة البار تقتدر كثيرًا في فعلها» (يع ٥: ١٦). القديسون هم أبرار لذلك فإن صلاتهم تقتدر كثيرًا في فعلها ويمكن لله أن يستجيب لهم أكثر منا لأنهم جُرّبوا واجتازوا التجربة بأمانة فنالوا الخلاص، أما نحن فما زلنا تحت التجربة.

القديسون «سيدينون العالم» (١ كو ٦: ٢) كما يعلّمنا بولس الرسول، وهم يتشفعون بنا بصلواتهم التي يصفها الرسول يوحنا الحبيب بأنها كؤوس من ذهب مملوءة بخورًا (رؤ ٥: ٨). أما للذين ينكرون على القديسين الذين انتقلوا، القدرة على الشفاعة بنا أمام الله، فهؤلاء لم يقرأوا الكتاب الذي يقول بأن «لا موت ولا حياة ... تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو ٨:٣٨-٣٩)، ولم يقرأوا كلام الرب للصدّوقيين: «أنا إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب. ليس الله إله أموات بل إله أحياء» (متى ٢٢: ٣٢). إذا كان الله هو دومًا إله أحياء فالقديسون هم أحياء عند الله والموت لا يفصلنا عنهم، ونحن وإياهم كنيسة واحدة، أعضاء في جسد واحد، وبالتالي نطلب منهم أن يصلّوا من أجلنا طالما انهم مع الرب وليسوا معرّضين للسقوط بعد. إنهم يستطيعون أن يتشفعوا بنا أكثر أمام الرب. وإذا استطاعوا أن يشفوا المرضى ويقيموا الموتى وهم على الأرض أفلا يستطيعون ذلك وهم في الملكوت؟

بشارة والدة الإله

بمناسبة تذكار بشارة سيدتنا الفائقة القداسة والدة الإله الدائمة البتولية مريم يترأس سيادة راعي الأبرشية خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الاثنين ٢٤ آذار ٢٠٠٣، وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الثلاثاء ٢٥ آذار في كنيسة بشارة السيدة – حي الفرنيني.

خلال القداس سوف يُرقى قدس المتقدم في الشمامسة رومانوس جبران إلى رتبة الكهنوت.

فيلم وثائقي

أعدّت لجنة ترميم كاتدرائية القديس جاورجيوس - بيروت فيلمًا وثائقيًا عن الكاتدرائية عنوانه نحو حياة جديدة، مدّته ساعة ومتوفّر باللغات العربية والفرنسية والانكليزية، ويعود ريّعه لإكمال ترميم الكاتدرائية. ثمن النسخة ٢٠,٠٠٠ ل.ل. ،يُطلب من مكتبة الرجاء - ت. ٠١/٥٦٤٤٤١، من كافة كنائس الأبرشية، من Virgin Megastore. كما يمكن طلبه عبر الموقع الالكتروني للكاتدرائية www.stgeorgebeirut.org

السكيرين لا يرثون ملكوت الله وإن كل من أحبَّ هذا العالم يكون عدوًا لله، ومن هو الذي يكون أشقى ممَّن يقايضون الملكوت السماوي باللذات الدنيوية الفانية. وإذا كان الإنسان الأول بأكلةٍ واحدة سقط من ذلك المجد وطُرد من فردوس النعيم وحُكِم عليه بالموت فكيف تكون عقوبة المذنبين بمثل ذلك اضعافًا. افرأيت كيف بعلَّة الشراهة من البدء دخل الموت إلى العالم وبأعمال الفضائل ظهر سبيل الخلاص للفائزين؟ وإن أردتُ إيضاح ذلك فاسمع ما قاله الكتاب الإلهي من أخبار الفاضلين مثل نوح وابرهيم وموسى وإيليا ودانيال واخنوخ وأمثالهم الذين بالأصوام الطاهرة والأعمال الفاضلة قهروا الملوك وغلبوا عساكر الأعداء وسدّوا أفواه الأسود واخمدوا لهيب النار ودفعوا مواقع الغضب واستعدّوا للخلود في النعيم. وما لي اتكلم عن هؤلاء ولا أذكر فضل صيام سيدنا يسوع المسيح لأنه صام أربعين يومًا ثم خرج لجهاد الخبيث وصنع لنا بذاته مثالاً ورسمًا لكي نقتدي بآثاره الطاهرة. فلنلبس حُلَل الصيام ونتزيَّن بالأعمال الفاضلة ونحمل سلاح الأمانة ونشجّع نفوسنا ونطهّر قلوبنا ونخرج لقتال عدوّنا لنفوز بالغلبة والملكوت.

القديس يوحنا الذهبي الفم